الأَسَالِيبُ الفِكْرِيَّةُ فِي تَدَبُّرِ القُرْآنِ

تأليف : عبد الله قرمزلي

الجزائر - المدية.

النسخة الأولى: 1441هـ - 2020م .

للتواصل مع المؤلف :

صفحة الفايسبوك **:**

https://www.facebook.com/profile.php?id=100046476316985

البريد الإلكتروني :

abdellahkermezli468@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن هذا الكتاب الذي بين يديك هو كتاب تفكير بالدرجة الأولى

وحتى تستغل كل فوائده عليك القراءة بتمعن وتقليب نظر وتركيز

وقد قيل في المثل ***"في الإعادة إفادة"*** *خاصة في الأمور التي يعمل*

فيها الفكر، فأنصح بقراءته بتمعن وتأن كما أنصح بتكرار قراءته

حتى تستوعب كل مافيه .

● مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين وأصلي وأسلم على من بعث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

القران الكريم... ذلك الكتاب الجليل، نسيم الحياة وعبيرها، طب القلوب وشفاؤها، طِيب العيش وروحها، منبع العلوم ومفتاحها، غذاء الروح وراويها، غيث النفس وساقيها، كلام رب السماوات والأرض وباريها، ناسخ الكتب وماحيها، منهج الله وهديه، جنته في أرضه، هديته لخلقه، لم يكرمهم بشيء أفضل من إكرامه لهم بالقرءان، هو النور والرحمة والشفاء والهدى والبينات :{ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة : 15-16] ،{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**} [يونس : 57]. لا غنى للبشرية عنه فهو بوصلة الحياة، و سفينة النجاة، وسبيل النجاح، وطريق الفلاح، في الدنيا و في الآخرة، نفعه عظيم وتأثيره قوي وبركته جلية ومن صاحبه رأى العجب من تيسير للأمور وتتابع للخيرات وتنزل للرحمات، به تستجلب مرضات رب الأرض والسماوات، لايدع خيرا إلا ألحقه بصاحبه، لا تستطيعه البطلة ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، لا يخلق عن كثرة الرد، من لازمه كان في زمرة أهل الله وخاصته ويرفع شأنه في الدنيا ويعلي ذكره بين الناس ويرتقي به في درجات الجنان، أجلس المساكين مجالس الملوك، تعلقت به أفئدة المشتاقين، وسمت به نفوس المؤمنين، واندست به نفوس الكافرين الجاحدين، وما تنعم المتنعمون بمثل العيش مع القرءان، لو طهرت القلوب ما شبعت منه،

عجائبه لا تنقضي، تذهب النوم عن أعين العارفين، هو البحر الذي لا شاطئ له، هو المعجزة الخالدة، هو مأدبة الله عز وجل فاغرف منه ما استطعت ... ومهما وصف فستبقى ألسنة البلغاء والفصحاء والشعراء عاجزة عن توفية القرءان حقه، وأنى لهم ذلك ... {**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**} [الإسراء:88] .

إلا أن عظمة القرءان هذه لن تبرز في حلتها الكاملة في حالة غياب عامل جد مهم وهو "**التدبر**"، فسر القرءان في قوة تأثيره تكمن في تدبره، فأعداء الإسلام إذا أرادوا تعطيل مفعول القرءان وعظمته لم يزيدوا على أن يحاربوا تدبر القرءان وفهمه، ومن صور ذلك إشغال الناس في تجويد القرءان وترتيله والتغني به بالمقامات وإقامة المسابقات العالمية والدولية والوطنية في ذلك، بينما قل أن تجد دورة علمية يعلم فيها كتاب الله وتعلم فيها تفاسيره ومعانيه، وهذا ما يسمى بتغليط الرأي العام، ولست أقلل من شأن التجويد أو الترتيل

وحاشا أن أفعل ذلك ولا يفهم لبيب هذا، وإنما يجب إعطاء كل ذي حق حقه ويجب ترتيب الأولويات جيدا حتى نتجنب منزلقات ذات عواقب غير محمودة.

أعود فأقول: إن تدبر القرءان يعتبر السبيل الأعظم للانتفاع بالقرءان، وأي قول غير هذا فهو قول مغلوط.. رفعت الأقلام وجفت الصحف. ولهذا حض الله عز وجل خلقه على التدبر وإعمال الفكر في القرءان فقال جل شأنه :{**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}[محمد: 24] وقال :{**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**}[المؤمِنون:68] وقال :{**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**}[البقرة :121] ومن تلاوته حق التلاوة تدبره وفهم معانيه وتحصيل نفائسه فإن هذا زينة التلاوة وحليتها، فمن كان كذلك فقد شهد الله له بالإيمان وكفى بالله شهيدا، بل شهد لكل متدبر محيط بالقرءان ومعانيه بأنه من الذين أوتوا العلم {**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي**

صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت : 49] ولم يقل (بل هو آيات في صدور الذين أوتوا العلم) وبالمقابل ذم من لم يأخذ من القرءان إلا رسمه : {**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**} [البقرة : 78] (قياسا على أهل الكتاب) أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، وقال في موضع آخر :**{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}** [الجمعة : 5] وقال أيضا :**{وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [البقرة : 44] أي أفلا تعقلون حال تلاوتكم للكتاب؟ وقال أيضا :{**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**} [لقمان : 7] فكيف بمن يكون هو من يتلو آيات الله ثم يولي كأن لم يتله أو كأن لم يفهمه، ولعل أبلغ كلمة قيلت في شأن التدبر **أن الله إذا أراد أن يضل فاسقا ما فإنه يحجبه عن فهم القرءان لا أكثر** :{**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**} [الإسراء : 46] وأخبر الله تعالى أن الغاية الأولى من إنزال القرءان هي أن يفهم وتعقل معانيه :{**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو**

الْأَلْبَابِ}[ص : 29] ومن اقتصر على لفظ القرءان دون فهم معانيه فإنه تصلح عليه الآية القائلة :{ **كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**}[البقرة : 171] وإذا كان هجر القرءان فعلا شنيعا لدرجة أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يشتكي إلى ربه هجر أمته للقرءان:{**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**}[الفرقان : 30]، فإن أعظم أنواع هجره هو هجر تدبره، لأنه يجر إلى هجر العمل به .

أما في السنة فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**) رواه مسلم . وجاء في حديث آخر :(**يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرءان لا يجاوز تراقيهم**) رواه البخاري.أي لا يفهمونه ولا يعملون به، وقال ابن مسعود رضي

الله عنه: (**من أراد العلم فليثور القرءان فإن فيه علم الأولين والآخرين**).مجمع الزوائد للهيثمي.

وعلاوة على ما سبق فإن الإنسان مجبول على حب ذاته، فإذا لاحت له فكرة من محض تخمينه فإنه سيكون أكثر حبا لها لأنه يعتبرها من ذاته بالتالي يكون أكثر يقينا بها وأكثر عملا وأكثرتعلقا وأكثر تمسكا بها، وإن هذا هو الذي يحصل للمتدبر إذا تبينت له لفتة أو لطيفة، من هنا كان للتدبر كل هذه الأهمية والمنزلة.

ولما كان التدبر بهذه الأهمية كانت أهمية كيفية التدبر أهم وأعظم شأنا، فالمثل يقول :**"لا تعطني سمكة بل علمني كيف أصطاد"** فالمكتسب للكيفية والطريقة يستغني عن الاستيراد بل يكون هو المورد والمصدر والرائد، وهذا هو المبتغى في كل ميدان، ويكون أول الواصلين إلى الهدف المنشود لأنه سلك المسلك الأكثر اختصارا، فاختصر الجهد والوقت معا، والمتأمل في منطق الحياة يجد أن هذا الكون كله يحوم حول الكيفية :{**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران : 137]. وقال موسى لأصحابه :{**قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**}[الأعراف : 129]

وقال تعالى: {**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [العنكبوت : 20]

وقال أيضا :{**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**}[ق : 6] وقال :{**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**} [الملك : 2] .وغير ذلك كثير.

وإن هذا الكتاب الجليل **القرءان الكريم** منجم من الكنوز والأسرار ، فلا تستخرج كنوزه إلا بآلات وآليات تعين على ذلك، وفي هذا الكتاب...استعراض وتبيان لتلك الآليات، وهي"**الأساليب الفكرية في تدبر القرءان**" ، وقد جُمع فيه أصول التفكير وأساليبه، ويوفر على القارئ الجهد والوقت في اصطياد لطائف القرءان ونفائسه عوض

الغرق في جمعها هنا وهناك، فأسأل الله جل وعلا أن يجعله كتابا مباركا نافعا مقبولا ...إنه هو السميع العليم .

- ***أنـواع الـتدبـر:***

إن المتأمل في أنواع التدبر يجده على ضربين :

1. تدبر قلبي :

وهو التأثر بالآية والاتعاظ والتفاعل النفسي معها، فإن كانت آية رحمة استبشر وسأل وإن كانت آية وعيد أشفق وتعوذ وانزجر، وهذا الذي ثبت عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يقرءون القرءان آية آية وربما ردد الواحد منهم آية واحدة في ليلة كاملة. فعن عباد بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ:{ **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**} [الطور: 27]، قال فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد :فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيما بعد تستعيذ وتدعو. رواه ابن أبي شيبة . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :**اقرأ علي**، فقلت :يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال :**نعم**، **فإني أحب أن**

أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية :{**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**}[النساء : 41] فقال : **حسبك الآن**، فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه. وانظر إلى قوله : (**حسبك الآن**) وكأنه كان يريد الوصول إلى شيء ما وتوصل إليه وهو التأثر والانفعال .

فهذا النوع من التدبر لتزكية النفس وهو الذي عنيه الله عز وجل في قوله :{**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**}[الزمر: 23] وعنيه في قوله:{**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**}[الحديد:16] فبهذا النوع تحصل لينة القلب ورقته وبه تسكب العبرات فلا غنى للمرء عنه، وأغلب كتب التدبر اهتمت بهذا الجانب فجزاهم الله خيرا

فقد كفوا ووفوا لمن يريد الاستفاضة، إلا أن النقص كان في النوع الثاني من التدبر الذي هو موضوع كتابنا.

2. التدبر العقلي :

وهذا التدبر يهتم بالجانب العلمي أكثر من التدبر السابق ولابد من الجمع بين التدبرين، فهذا علمي نظري وذاك عملي تطبيقي، وهو الذي يحتاج إليه الفقهاء وغيرهم ممن أراد الاستنباط من القرءان، وفي الوقت نفسه يعين على تزكية النفس وتربيتها، وقبل أن نستفيض في الشرح ينبغي التنبيه على أمر مهم وهو أن عملية التدبر تمر على ثلاث مراحل:

أـمرحلة ما قبل التدبر .

بـمرحلة أثناء التدبر .

جـمرحلة ما بعد التدبر.

وكل مرحلة مكملة للمرحلة التي تليها أو سبقتها.

• مراحل عملية التدبر:

أ- مرحلة ما قبل التدبر:

وهذه المرحلة جد مهمة، إذا أسست على قواعد سليمة فإن المراحل التي تليها ستكون مبنية على قواعد سليمة أيضا، ولابد من تحقيق خطواتها خطوة خطوة وهي:

أ-1. تقوية الصلة بالقرءان :

ويكون ذلك بشدة التعلق به والإقبال عليه وحبه، فإن حب العمل الذي تقوم به هو الذي يدفعك إلى الإبداع والتألق والاستمرار فيه ويجنبك الملل المؤدي إلى الفشل، فكل ناجح محب، وانظر إلى قوله تعالى :{**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**}[الأنعام : 125] فإذا أراد الله أن يهدي إنسانا حبب إليه الإسلام وشرح صدره له، ولذا :

{**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**}[البقرة : 165] وقد سئل بعض المشايخ الفضلاء عن شروط المفسر فذكر أن أول شرط أن يكون الفرح بالقرءان يملأ قلبه :{**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**}[يونس : 58] وقال جل وعلا :{**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**}[الرعد : 36] والحب نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده.

وسبيل تحقيق حب القرءان الكريم وشدة تعلق القلب به هو :أولا وقبل كل شيء، أن يمحو الخلفية الذهنية عن القرءان التي عند جل الناس (إذا كانت لديه) وهي أنه كلما سمع ترتيل القرءان يراوده مباشرة شعور بالحزن يمزجه شعور بالكآبة ويتوالى استحضار الذكريات العصيبة، وهذا الشعور ناتج عن ربط القرءان بالأحداث الأليمة كالموت والجنائز والسحر والعين والمس وضيق العيش، لأنه لا يلجأ إلى القرءان إلا في المواطن الحزينة، فمع مرور الزمن وتكرر هذا الفعل تتكون علاقة في ذهنية الفاعل تربط الحزن بسماع

القرءان.وقد تكون نتيجة فهم مغلوط من أصحاب هذه الخلفية (في اللاوعي) وذلك : أن الغناء يجلب السرور والزهو النفسي، والقرءان يتناقض مع الغناء إذا فالقرءان يتناقض مع السرور والفرح، وإني لأحلف الأيمان المغلظة أن هذا التحليل ينطبق على كل من له هذه الذهنية، وهذا هو ظن الجاهلية بعينه .

نعود فنقول : إن هذه النقطة حساسة إلى حد بعيد جدا لأنه يستحيل العيش مع القرءان في وجود هذه الخلفية، لأنهما أمران متناقضان ويستحيل اجتماع المتناقضات بداهة، وإن مما يقطع جذورها بالتمام مسألة التغني بالقرءان واللحن، فإن هذا الأخير له دور فعال جدا في تقوية علاقة الإنسان بالقرءان ولو لم يكن كذلك لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يتغنى بالقرءان من دائرة المؤمنين الصادقين :{**ليس منا من لم يتغن بالقرءان يجهر به**} رواه البخاري .وهذا ما نسميه بالصيغة، وجاء في حديث آخر :

{**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يجهر بالقرءان** }

متفق عليه. فصيغة التغني بالقرءان لها تأثير قوي، فعلى من يعاني من هذا الداء - إن صح التعبير- أن يتخير الصيغ التي من شأنها أن لا تخدم هذه الذهنية، فبعض صيغ اللحن لاتزيد إلا ضيقا في الصدر، ويختلف الناس في استحسان الصيغ، ولكل ما أحب، وحينما يصل المرء إلى درجة يصبح فيها لما يسمع ءايات الله تتلى تبتهج نفسه وتشنف أسماعه وتطرب أذناه فحينها يمكن القول أن الطريق المغلق قد فتح والله جل وعلا هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

ومما يقوي علاقة الإنسان بالقرءان هو أن يحفظه ويتعلمه ويقرأه ابتغاء وجه الله ومرضاته وجزيل ثوابه، مستشعرا أن هذا الكلام هو كلام خالق الأكوان وأن هذه النعمة هي التي يُحسد عليها المرء كما جاء في الحديث الشريف :(**لا حسد إلا في اثنتين : رجل علمه الله القرءان ، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال :يا ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل**) رواه البخاري فهذه أكبر نعمة على حافظ القرءان، وعلامة الحافظ المحب للقرءان

المعظم له أنه لايحسد غيره إطلاقا، لأنه يرى أن الله قد أعطاه مالم يعط غيره{**وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**}[المائدة : 20] فكيف يحسد من هو دونه في العطاء؟، وعليه أن يفرغ قلبه ووقته للقرءان فإنه لا يقبل شريكا معه حتى يؤتي ثماره، وعليه أن يسأل الله جلا وعلا أن يجعله من أهل القرءان حفظا وتلاوة وتدبرا وعملا، فإن هذه المرتبة عزيزة لا تؤتى لكل الناس، بل الله يصطفي من يشاء من عباده ويختاره إليها. والذي يطلع على فضائل القرءان وأنواره فإن حب القرءان سيهمن على قلبه حتما وسيجد نفسه متعلقة به دون شعور منه.

فعليه أن يصل الى درجة يصبح فيها ملازما للقرءان قياما وقعودا وعلى جنبه، ويتفكر فيه طيلة أوقاته، فإنه على قدر التعلق تكون دقة الفهم والنظر.

أ-2. تعظيم القرءان :

فالتعامل مع القرءان بسذاجة تفكير وكأنه مجرد كلام عادي مثل غيره من الكلام فإن هذا حاجز ومانع من موانع حسن فهمه، فعلى المتدبر أن يرفع مستواه الفكري في تدبره للقرءان وأن لا يكون متطفلا في التعامل معه، بل ينبغي أن ينظر إلى القرءان نظرة إجلال وتعظيم، وأن وراء كل لفظة سر من أسراره المخبأة عليه أن يتوصل إليها وأن الله عز وجل أودع كل شيء فيه لحكمة فلم يكن ليذكر شيئا عبثا، فكل لفظة في مكانها المناسب بدقة عالية، ولا يوجد شيء في القرءان يسمى صدفة، فكل ماذكر فيه له غاية وعلة.

ولتعزيز هذا الشرط يستحسن أن يطلع الراغب في التدبر على دقة التعبير القرءاني ومدى أبعادها، وسيأتي في هذا الكتاب نبذة عنها، فإذا امتثل هذا الشرط يكون قد فتح باب التدبر على مصراعيه.

أ-3. حفظ القرءان كاملا:

حفظ القرءان يعين المتدبر على انتقاء الآيات المناسبة فيكون أكثر استدلالا، ولابد أن يكون الحفظ متقنا لأن تغير حرف واحد قد يخل بالمعنى، ولإتقان الحفظ ينبغي الإكثار من التكرار ومذاكرته و سماعه والقيام به من الليل والعمل به، فهذه الأمور الخمسة هي أركان الحفظ المتقن ولم يُعلم وسيلة أنجع في تثبيت الحفظ منها، لكن غير الحافظ.. له حظ جزئي من التدبر فلا يضيعه بحجة عدم الحفظ، فبعض مناهج التدبر التي سنأتي على تبيانها - إن شاء الله - لا تحتاج إلى الحفظ بل قد تستعمل من خلال المصحف مباشرة. إلا أنه يبقى محروما من باقي المناهج حتى يستكمل الحفظ .

وحفظ القرءان يعين على التدبر من جهة أخرى وهي أنه لا حفظ إلا بعد فهم، فالحفظ يثبت الفهم والحافظ يستحيل أن يقرأ بلا فهم خاصة إذا كان يقرأ غيبا (أي بدون المصحف).

كما يجنب المتدبر من أن يتدبر في الآيات المتشابهات، فمثلا قوله تعالى :{**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**}[ال عمران : 32]، فقد يذهب فكر المتدبر إلى أن الله تعالى لا يحب الكافرين وليس يكرههم (لأنه توجد درجة الحب ودرجة الكره ودرجة بينهما وهي لا حب ولا كره)، وهذه آيات متشابهات، في حين ورد في الآية المحكمة :{**وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا** }[فاطر: 39]، والمقت هو شدة الكره والبغض (ولم يقل إن الله يكره الكافرين تربية لخلقه على التأدب مع الله حتى في استعمال الألفاظ ، وإشارة إلى أن مجرد عدم حب الله للعبد عقاب في حد ذاته، فما بالك بالكره).فلو لم يحط بالآية الثانية لوقع في زلل.

أ-4.معرفة تفسير النص الذي تريد أن تتدبره:

فلا يتأتى لك الاستنباط حتى تفهم معاني الآيات وشرحها وفضائلها وأسباب نزولها ووقت نزولها وهل ناسخة أو منسوخة ؟ .. فكل هذه الأمور لها اعتبار قبل التدبر، وهناك فرق بين التفسير

والتدبر، فالتفسير شرح للآية وتبيان لمعناها، أما التدبر فهو التأمل في ما وراء تلك المعاني، فهو ينبني على التفسير. وجيد أن نلفت الانتباه إلى مسألة مهمة وهي التوسع في الاطلاع على التفاسير، فكثيرا ما يختلف المفسرون في معاني الآيات، وإذا اختلف التفسير سيختلف معه أيضا التدبر، فالذي يقتصر على تفسير واحد يكون قد حصر فكره ورؤيته في اتجاه معين. بينما الذي يعدد مشاربه يكون أقرب للتفسير الصحيح ناهيك عن اكتسابه لمنهجية فكرية تميزه عن غيره.

ويدخل في هذا الإلمام باللغة والنحو والصرف والمعاجم وحتى القراءات المتواترة والأحاديث الصحيحة، فكل هذا يساعد على فهم القرءان، بل وحتى الاطلاع على مختلف العلوم كثقافة عامة والأمثال والحكم، فهذه أمور من شأنها تسهيل فهم ووعي معاني القرءان.

أ-5. كتابة النص الذي تريد أن تتدبره :

قد يستغرب أحد هذا، لكن التجربة تقول أن الكتابة لها تأثير خاص على الفهم، ويبدو أن لها شأن عظيم ومفعول عجيب لدرجة أن الله عز وجل أنزل سورة كاملة اسمها سورة القلم، وقد أقسم فيها بالقلم{**نۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**}[القلم : 1] وانظر إلى قوله :{**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**}[العلق : 3-4] تأكيد شديد على أهمية الكتابة، وهناك بون شاسع بين الكتابة باليد والكتابة الحديثة بالأجهزة الإلكترونية، ولاشك أن الأولى لها الحظ الأوفر من التأثير، ولهذا أكد الله عز وجل على القلم وأقسم به (إشارة إلى الكتابة باليد).

وحينما يكتب المتدبر النص الذي يريد أن يتدبره فإنه يكتبه بسياقه كاملا ولا يقتطع جزءا منه، وسنوضح إن شاء الله أهمية السياق .

أ-6. طهارة النفس وتقوى الله عز وجل:

وإني استقرأت جل من له حسن فهم لكلام الله جل وعلا فوجدت أن القاسم المشترك بينهم ست صفات:

- حسن القصد
- وسلامة القلب
- وطهارة النفس
- والتواضع
- وغياب الطمع الزائد في الدنيا
- وتقوى الله تعالى

وكل هذا له مرجع في كتاب الله فقد قال تعالى في مطلع سورة البقرة :{**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**} [البقرة : 2] فعلى قدر التقوى تكون هداية القرءان. وقال في موضع آخر:{ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ**

الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف : 146] فإذا كان التكبر سبب لصرف المتكبر عن آيات الله فإن التواضع سبب في الفهم الدقيق والنظر الثاقب. وقال تعالى :{**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**} [الحجر : 87-88] وكأنها إشارة : إذا أردت أن تنتفع بالقرءان فلا يأخذنك الطمع الزائد (لا تمدن عينيك...) وليكن التواضع صفتك (واخفض جناحك للمؤمنين). والقرءان الكريم سماه الله روحا ونورا:{ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**} [الشورى : 52] فحتى يقع التجانس فينبغي أن تكون السريرة نقية مطهرة. وقال جل شأنه : {**وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [البقرة : 282] فالتقوى سبب لتحصيل العلم ،وأي علم ؟ إنه العلم من الله عز وجل .

أ-7. الدعاء:

ولعل هذا الشرط هو أقوى الشروط ، فالموفق هو من وفقه الله وإذا أيدك الله فمن عليك وكما قيل (الدعاء سلاح المؤمن) وتفتح أبواب بالدعاء ما لا تفتح بغيره، فعلى المتدبر أن يسأل الله أن يلهمه حسن الفهم وأن يفتح عليه من فهم كلامه العزيز، متحريا مواطن الإجابة ملتزما بآداب الدعاء.

هذا مجمل ما على المرء أن يلتزمه قبل التدبر ويستحسن أن يتخير الأماكن التي يتدبر فيها سيما الأماكن المباركة كالمساجد وقد ورد في الحديث فضل تدارس القرءان في المسجد :{**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله..**} ويستفاد من الحديث أيضا استحباب الاجتماع على التدبر فإن للجماعة فضل على الوحدة (واقعا وشرعا) فلا يمكن للمرء وحده أن يحيط بكل فوائد القرءان ومعانيه .

ب- مرحلة أثناء التدبر:

وكما قلنا آنفا : إذا صحت المرحلة الأولى تصح هذه المرحلة فهي مرهونة بها سلامة وخطئا، بحيث يغوص المتدبر في معاني الآيات ويكون التدبر على مستوى :

- الحرف.
- الكلمة.
- الآية.
- السياق.
- السورة.
- القرءان كله .

وتجزؤ هذه المرحلة إلى ثلاث خطوات : الملاحظة ثم التفسير ثم الاستنتاج، وأحيانا قد يصيب المتدبر في الملاحظة لكنه يخطئ في التفسير والاستنتاج، وقد لا يحسن الملاحظة لكنه متألق في التفسير والتحليل والاستنتاج، ويعود هذا إلى طبيعة ذكاء الشخص ونوعيته .

وفي هذه المرحلة تطبق الأساليب التي تستعمل للاستنباط وهي:

1. **الأسلوب الاستلزامي.**

2. **الأسلوب التحليلي.**

3. **أسلوب المناظرة.**

4. **أسلوب تغيير اللفظ.**

5. **الأسلوب القياسي .**

6. **الأسلوب الاستقرائي .**

7. **قاعدة مهمة .**

هذه سبعة أساليب يمكن تطبيقها كلها على آية واحدة للخروج بأكبر عدد ممكن من الفوائد، وللإشارة والتنبيه هذه التسميات من اجتهادي، وكما قيل :**لا مشاحة في الاصطلاح**. وإلا فسمها كيفما شئت فالمهم هو المضمون .

ونشرع في الشرح على بركة الله.

1. الأسلوب الاستلزامي:

وهو أن يتأمل المتدبر في الكلمة (أو الآية أو الموضوع..) ويطرح سؤال : ماذا يستلزم ؟ وهذا الأسلوب هو أصعب الأساليب استعمالا بحيث يتطلب تأملا طويلا عميقا، وبهذا الأسلوب يتوصل الإنسان المجرد عن الوحي ذو التفكير السوي إلى أن لهذا الكون خالقا عليما حكيما قادرا فاعلا، لأن هذه المخلوقات تدل في تركيبها على أن الذي أوجدها عليم، ومادام أن هناك تناسقا عجيبا إذا هناك حكمة، ومادام أنها موجودة فهذا يعني أن الخالق فاعل، ومادام أنه فاعل فهو قادر وله إرادة. وهذا هو الأسلوب الذي استعمله شاهد قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك :مادام أن قميصه قدّ من دبر فمعناه أن سيدنا يوسف كان أمام امرأة العزيز وهي كانت خلفه .

وكما قيل "**بالمثال يتضح المقال**":

- **المثال1:**

قوله تعالى :{**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ**}[الإخلاص:1-2]

جاء في تفسير اسم الله الصمد أنه الذي لا جوف له، فلزم من هذا أنه لا يأكل ولا يشرب بخلاف المخلوق، ولهذا احتج في موضع آخر على النصارى في قولهم أن المسيح هو الله احتج عليهم بأنه يأكل ويشرب :{ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**}[المائدة : 75] .

- **المثال2:**

قول الله عز وجل :{**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**}[لقمان : 7] فيه دليل على جواز سماع القرءان للجنب، إذ كل كافر على جنابة حتما، ولا يعتبر الاستحمام غسلا .

- **المثال3:**

قوله تعالى :{**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}[ال عمران: 105] استنبط ابن تيمية رحمه الله بهذا الأسلوب أنه لما نهاهم عن التفرقة مطلقا دل هذا أنهم لا يجتمعون على باطل، وهو استنباط جيد.

- **المثال4:**

قول الله تعالى لملائكته :{**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** }[البقرة : 30] يمكن أن نستفيد أن هذه الآية دليل على أن أعمال العباد مكتوبة وأن الله هو الذي يقدرها لأنه نسب الفعل إلى نفسه، فالله تعالى قال هذا لملائكته قبل أن يخلق ءادم ثم لما خلقه قال له:{ **وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**}[الأعراف : 19] أي لم يجعله خليفة مباشرة، وإنما لما عصى آدم ربه قال له اهبط إلى الأرض (بسبب المعصية)، وأمره لآدم بأن يهبط إلى الأرض هو تحقيق قوله (إني

جاعل في الأرض خليفة) فلزم هذا القول أن أعمال العباد مكتوبة. وينبغي التأمل فيها طويلا حتى تفهم.

- **المثال5:**

قوله عز وجل :{**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}[البقرة : 85] وقوله :{**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ**}[الرعد : 36] فباستعمال هذا الأسلوب نقول : فُهم من الآية أن القرءان سيحفظ ، ولابد أن يحفظ حتى يصح الوعيد لمن يؤمن بجزء من الكتاب ويكفر ببعضه، إذ لو حرِّف بعضه لكان من الناس من يؤمن ببعض الكتاب وهو الذي لم يحرَّف ويكفر ببعضه الآخر الذي حرِّف. بالتالي هذه الآية تؤيد قوله:{**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**}[الحِجر : 9] .

- **المثال6:**

في قصة مولد عيسى ابن مريم عليهما السلام لما قال الملَك لمريم عليها السلام :{**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**} [مريم : 25] .الرطب لا يكون إلا في فترة الصيف ومنه مولد سيدنا عيسى عليه السلام كان في الصيف بخلاف ما يزعمه النصارى

- **المثال7:**

قوله تعالى:{**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ**}[سبأ : 28] لزم من هذه الآية :

- أن هذا الدين سيظهر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث لكل الناس ويستحيل أن يوصل هذه الرسالة لكل الناس وأن يطوف على أهل الأرض كلهم عبر كل العصور إذ لابد

له من أعوان، والأعوان يكونون بعد الغلبة، بالتالي يمكن الاستنباط من هذه الآية أن الدين سيظهر.

- ولزم منها أن الدعوة فرض كفاية على المسلمين .
- ولزم منها أن تعلم اللغات فرض كفاية أيضا لأن الناس يختلفون في الألسن .
- ولزم منها أنه ينبغي على الداعية أن يكون محنكا خبيرا بأحوال كل فئات الناس، فدعوة الشاب ليست كدعوة الشيخ ودعوة الغني ليست كدعوة الفقير ...

- **المثال8:**

قوله تعالى:{**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ**}[العنكبوت : 47] والكتاب هو المكتوب فهذا يلزم منه أن رسم القرءان توقيفي ووحي من الله لأنه من الكتابة، وهذا هو رأي الجمهور.

- **المثال9:**

في تأويل سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا الملك حينما استنبط العام الذي يغاث فيه الناس وذلك مادام أن السبع البقرات العجاف هي سبع سنين قاحطة بالتالي العام الثامن هو عام غيث استلزاما.

- **المثال10:**

قول الله عز وجل:{ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} [الفاتحة : 5] .لفظة الاستعانة يلزم منها أمرين:

- أنه يجب على المؤمن الأخذ بالأسباب ثم يستعين، لأن الاستعانة تكون مع بذل الجهد.

- وأنه ليس بوسع أحدنا أن يستغني عن الله في قضاء حوائج دينه ودنياه .

ولفظ (إياك نستعين) كفيل بتوليد الهمة والإرادة لدى التالي أو السامع ، لأنه يشعر بالإقدام على أمر ما .

2. الأسلوب التحليلي:

ويعتمد هذا الأسلوب على تحليل الكلمة أو الآية أو الموضوع ثم تصنيفها في الصنف الذي تنتمي إليه، وبه تستخرج القواعد والأصول، وهذا المنهج يحرر فهم المتدبر من أن يقتصر على لفظ النص وفقط.

- **المثال1:**

وهو ما استعمله ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد حينما تدبر سورة الإخلاص فقال :{**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**} نفى الأصل والفرع ,{**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**} نفى النظير، فالوالد هو الأصل والولد هو الفرع ، والكفؤ هو النظير، فنفى كل الجهات بالتالي لم يبق إلا هو {**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** } .

ومن جهة أخرى :{**اللَّهُ الصَّمَدُ**} (قلنا استلزاما لا يأكل ولا يشرب) نفى شهوة الأكل، { **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** } نفى الولادة ،{ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ**

كُفُوًا أَحَدٌ } نفى النظير والند بالتالي لا يخضع لشهوة التفوق على القرين، وكل مخلوق تقوم حياته حول هذا المثلث (الغذاء والجنس والشهرة أوالتفوق) ومن انتفت هذه الثلاثة منه فإنه ليس بمخلوق بالتالي هو خالق .

- **المثال2:**

قوله تعالى:{**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**} [المائدة : 91]، الخمر والميسر هنا وسيلة، والعداوة والصد عن ذكر الله وعن الصلاة غاية، ولا شك أن الغاية أعظم من الوسيلة، فيستعمل الشيطان الخمر والميسر كوسيلة لنشر العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله والصلاة ، وهذا تماما مصداقا للحديث الشريف :(**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**) رواه مسلم .أي أن أحب شيء إلى إبليس بعد

الشرك هو العداوة والبغضاء، بالتالي ترك الصلاة، والعداوة والبغضاء أعظم من الخمر والميسر.

- **المثال3:**

في قصة السامري، لما عبد بنو إسرائيل العجل رجع سيدنا موسى عليه السلام وخاطب قومه أولا :{**فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي**} [طه : 86] ، ثم هارون عليه السلام ثانيا :{**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا**} [طه : 92]، ثم السامري ثالثا :{**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**} [طه : 95]، وهكذا معالجة قضايا الانحراف والفساد، فالإصلاح يكون بالرعية أولا ثم الحكام ثانيا ثم أصحاب الفتن ثالثا (وفي هذا الترتيب حكمة ليس هذا موضعها) .

- **المثال4:**

في خطاب سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم كان أول خطابه :{**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**} [مريم : 42] فهذا مخاطبة للعقل بالسؤال .

وفي آخر خطابه قال :{ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**} [مريم : 45].وهذا مخاطبة للعاطفة، فيستفاد: أنه ينبغي أن تبنى الدعوة على هذين الأساسين العقل أولا ثم العاطفة أخيرا حتى تكون العاطفة تابعة للعقل فقد قيل **العاطفة عاصفة.**

- **المثال5:**

قول الله عز وجل:{**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**}[البقرة : 2] تُقَسّم الآية إلى شطرين:

(ذلك الكتاب لا ريب فيه) هذا تبيان لصحة الكتاب ومضمونه .

(هدى للمتقين) تعريف بالكتاب وتبيان لطريقة الانتفاع به وهي التقوى، فعلى قدر تقواك تنتفع بالقرءان، وتبيان للفئة التي تنتفع به وهم المتقون.

فحري بكل كاتب أن يبين في بداية كتابه مدى صحة الكتاب حتى يطمئن القارئ ثم عليه أن يبين منهج التعامل مع الكتاب.

- **المثال6:**

قوله تعالى :{**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**} [البقرة : 3] تجزأ الآية إلى جزءين :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) هذا الإخلاص لله .

(ومما رزقناهم ينفقون) هذا الإحسان للخلق ، فإذا أخلص الإنسان لربه وأحسن لغيره حقق معادلة السعادة وطمأنينة النفس وراحة البال لذلك ذكرها الله في أول كتابه، وقدم الإخلاص على الإحسان لأنه لا يُتقبل عمل ولا إحسان بلا إخلاص، ولأنه لا يُحسن إلا مخلص،

فالمحسن لا يحسن حتى تكون نفسه زكية ولا تكون النفس زكية حتى تكون مخلصة، ويمكن أن نضيف:

- الجزء الأول : أعمال روحية باطنية.

- الجزء الثاني : أعمال مادية ظاهرية، فيستفاد أنه يجب إصلاح الباطن أولا ثم الظاهر ثانيا، ويمكن أن نضيف:

- الجزء الأول : العلاقة مع الله

- الجزء الثاني : العلاقة مع الخلق، فينبغي تسوية العلاقة مع الله أولا ثم العلاقة مع الناس ثانيا.

- **المثال7:**

قوله تعالى :{**فَسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (17) وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون**} [الروم:17_18] فسبحان الله في كل زمان، والحمد لله في كل مكان، فالمساء والصباح زمان، والسماوات والأرض مكان.

- **المثال8:**

قول إبراهيم عليه السلام :{**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** }[البقرة : 126] فدعا بتحقيق الأمن والاقتصاد، وهكذا لبناء أي مجتمع لابد من تحقيق هذين الشرطين **الأمن و الاقتصاد** :{**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**}[قريش : 4].

- **المثال9:**

قوله على لسان عباد الرحمن :{**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**}[الفرقان : 74] تنبيه على علو الهمة والإرادة كما في قوله :{**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} [البقرة : 201] هذا دعاء المؤمنين أما الكفار فاقتصروا على الدنيا : [**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**} [البقرة : 200] فالمؤمنون يبتغون خيري الدنيا والآخرة, وكما في قوله :{ **وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** }[الأنعام : 163].

- **المثال10:**

قول الله جل شأنه:{ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [النحل : 78].يستفاد من الآية بالأسلوب التحليلي أنها أشارت إلى مصادر المعرفة الثلاثة التي اختلف فيها الناس اختلافا واسعا إلى زماننا الحالي:

- السمع : وهو النقل .
- الأبصار: وهي الحس والعيان .
- الأفئدة : وهي القلوب و العقول.

3. أسلوب المناظرة :

أو ما يسمى بمفهوم المخالفة، واستعمال هذا الأسلوب يكون بمخالفة مفهوم النص بالضد، وهو صالح ما لم تكن قرينة تنقضه أو

تقيده ، وتحديد القرينة يحتاج لإلمام بعلوم الشريعة وأصولها، وفيما يلي أمثلة توضيحية :

- **المثال1:**

أحيانا قد يرد هذا الأسلوب في القرءان ظاهرا جليا كقوله تعالى :{ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**} [المائدة : 9] جاء بعدها ما يخالفه :{ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**} [المائدة : 10]. وأمثلته كثيرة :{ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** }[المائدة : 54] .

- **المثال2:**

وهو ما استدل به بعض الفقهاء أن الخمر نجس بدليل قوله عن أهل الجنة: { **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**} [الإنسان : 21] فقال : أن الخمر نجس . (بغض النظر عن صحة هذا القول) .

ويمكن أيضا مخالفة الآية بوجه آخر وهو أن سقيا أصحاب الجحيم تكون من جنس الشراب النجس، كما ورد في الأحاديث.

- **المثال3:**

قوله تعالى :{**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**}[النحل : 43] فيستفاد النهي عن سؤال أهل العلم في حالة العلم بالجواب، وهذا قد يقع لاختبار أهل العلم أو إحراجهم أو تبيان نقص علمهم. ويمكن كذلك أن تفهم الآية من وجه آخر بمفهوم المخالفة وهو : النهي عن سؤال غير أهل الذكر.

- **المثال4:**

قول الله عز وجل:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**} [الحجرات : 6] بمفهوم المخالفة يمكن القول : إن جاءكم غير فاسق (عدل) بنبإ فلا حاجة لأن تتبينوا، ففيه دليل على الأخذ بخبر الآحاد.

- **<u>أمثلة عن قرينة تنقضه</u>:**

- **المثال1:**

قول الله :{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[البقرة : 21] فهذه الآية لا يصلح عليها منهج المناظرة لأن المعنى يصبح يا أيها الناس لا تعبدوا ربكم الذي لم يخلقكم والذين من قبلكم لأن هناك قرينة تنقضه وهي : {**وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**}[ص : 65] فلا يوجد رب غير خالق (عاطل) ..إذا لماذا سمي ربا ؟!.

- **المثال2:**

جاء في سورة الأعراف :{**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**}[الأعراف : 146] فلا يصبح المعنى (لن أصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بالحق) فالقرينة هنا هي أنه لا يوجد تكبر بحق، وهذا مثل قوله :{**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ**

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [ال عمران : 21] فيستحيل أن يكون قتل الأنبياء بحق. ويمكن مخالفة الآية بوجه آخر وهو أن غير المتكبر لا يصرف عن آيات الله.(وقوله : يتكبرون في الأرض بغير الحق، قد يستفاد منه أنه يوجد تكبر في السماء بحق وهو تكبر الله جل جلله فمن أسمائه "**المتكبر**" ، فهي دليل على أن الله في السماء) .

- **المثال3:**

قوله :{**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**} [النساء : 82] فليس المعنى أنه مادام من عند الله إذا فيه اختلاف يسير، فالقرينة هنا هي أنه لا يوجد تعارض في القرءان مطلقا.

4. أسلوب تغيير اللفظ :

وهذا الأسلوب يكشف عن دقة التعبير القرءاني وعظمته كما يكشف بالضبط عن المعاني التي أرادها القرءان الكريم، فمن أراد أن يدرك عظمة تعبير القرءان فليطبق هذا الأسلوب :{**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ** } [يونس : 15] . ويكون على مستوى الحرف، ثم الكلمة، ثم الشطر وصولا إلى الآية بأكملها ويكون:

- بالزيادة .
- بالنقصان .
- بالتبديل .

- **المثال1: (مثال عن التغيير بالزيادة).**

قول الله عز وجل:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**}[النساء : 59]، ولم يقل : وأطيعوا أولي

الأمر منكم لأن طاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فلو قال (وأطيعوا أولي الأمر منكم) صارت الطاعة هنا مطلقة.

- **المثال2: (مثال عن التغيير بالنقصان).**

قوله تعالى :{**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**}[الأنبياء : 69]، لو قال : يا نار كوني بردا على إبراهيم لضرته أو حتى قتلته ربما، فأضاف "**وسلاما** "حتى تكون سلامة له .

- **المثال3:_(مثال عن التغيير بالتبديل).**

في سورة الفاتحة:{**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**}[الفاتحة : 7] ولم يقل (غير الذين غضبت عليهم) كما قال : (الذين أنعمت عليهم) وهذا مراعاة للفظ تأدبا مع الله، ومثله:{**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**}[الشعراء : 80] وكذلك قول الجن:{**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ**

رَشَدًا}[الجن : 10] .وليس (وأنا لا ندري أشر أراد الله بمن في الأرض)

- **المثال4:**

قول الله عز وجل:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}[الذاريات : 56] أغلب المواضع وردت بكلمة "**خلقنا**"، أما تعبير "**خلقنا**" فلأن أمر الخلق عظيم ولا يقوم به إلا العظيم فلذلك عظم، أما هنا فقد أفرد لأن السياق والمعنى يقتضي ذلك، لأنه قال بعدها : (ليعبدون) أي ليوحدون ، فلا يناسب (وما خلقنا الجن والإنس إلا ليعبدونا) أي ليوحدونا، فالتوحيد واحد لذلك أفرد.

- **المثال5:**

قول الله تعالى :{**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**}[البقرة : 3] لم يقل : ومن رزقهم ينفقون حتى يستشعر المنفق أن المال مال الله والرزق رزقه، فلا داعي للمن

والأذى، ولم يقل : ومما نرزقهم ينفقون، حتى تكون إشارة إلى أن الرزق مكتوب ومضمون فلا ينشغل بال المنفق بأن رزقه سينقص لو أنفق، وقد نضيف : أنه ينبغي على المنفق أن ينفق مما يملكه هو ومما هو بحوزته وليس مما لم يأت بعد.

- **المثال6:**

قال الله عز وجل بعد ذكر طائفة من الأنبياء: {**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**} [الأنعام : 90]. ولم يقل : فبهم اقتده، لأن العبرة بالمنهج لا بالأشخاص، وقال في سورة لقمان: {**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} [لقمان : 15] ولم يقل: اتبع من أناب إلي لأن الشخص قد يزل وقد ينحرف عن المنهج، فالمقلد للأشخاص سيحذو حذوهم ويقع في نفس أخطائهم إضافة إلى أخطائه.

- **المثال7:**

قال الله تعالى في سورة النور:{**وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِين**][النور : 7] وكان هذا في سياق الكلام عن من رمى زوجته ولم يكن له شهداء فإنه يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ثم في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويدرؤ عن زوجته العذاب أن تشهد بدورها أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ثم في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين :{**وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**}[النور: 9] ولم يقل :(والخامسة أن لعنة الله عليها إن كان من الصادقين) مثل الأولى، لأن الأولى افتراء وقذف، والثانية دفاع عن النفس خوفا من العقوبة، ولاشك أن الافتراء والقذف والبهتان أشد من الكذب خوفا من العقاب ولذلك جاء التخفيف (من اللعن إلى الغضب).

- **المثال8:**

قوله تعالى:{ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**}[الأنعام : 61] وفي موضع آخر قال:{**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ**}[المؤمنون : 99] فالآية الأولى خاطب كل الناس (أحدكم) لأن الكلام عن الموت، والموت قانون كوني ينطبق على جميع الناس دون استثناء، بينما الآية الثانية تتحدث عن الندم عند الموت، وهذا لا يحصل لكل الناس بل ينحصر الموقف هذا في الكفار،ومثل هذه اللفتات تعين على إتقان الحفظ .

- **المثال9:**

قول الله جل جلالة:**{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**}[المنافقون: 1] لو حذف شطر (والله يعلم إنك لرسوله) لاختل المعنى فالمنافقون يشهدون أن محمدا رسول الله (بأفواههم) والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، فلو قال : (إذا جاءك

المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أي إنك لست رسوله !! لذلك أدرجها في السياق.

- **المثال10:**

قول الله عز وجل:{**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**}[البقرة : 143] لماذا أضاف كلمة "**وكذلك**" ؟، فكلمة كذلك توحي بالقياس، أي كما جعلنا - شيئا ما- وسطا كذلك جعلناكم أنتم وسطا. والعجيب أن هذه الآية هي الآية الوسط في سورة البقرة، والأعجب من ذلك :أن الآية التي سبقتها كانت تتكلم عن القبلة والكعبة:{**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**}[البقرة : 132]. وقد قيل أن الكعبة هي بالضبط وسط الكرة الأرضية فسبحان الله !!.

وهذا المنهج لا يتدبر به كافر مخلص إلا أيقن أنه كلام الله بالفعل وأعلن إسلامه فورا.

- **ملاحظة مهمة في هذا الأسلوب**:

أحيانا إذا لم يبتين لك حكمة تعبير القرءان فاطرح بديلا له ثم تأمل كيف سيكون المعنى والسياق لو استعمل اللفظ المطروح ، وحتما ستجد أن تعبير القرءان هو الأنسب والأكمل ، ومن جرب عرف.

5. الأسلوب القياسي:

وهو قياس معنى على معنى غيره بحيث يكون بينهما تشابه :

- **المثال1:**

يقول الله تعالى :{**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**}[النساء : 5]، فإذا كان السفهاء لا يؤتون الأموال فمن باب أولى أن لا يولون المناصب العليا خاصة مجال العلم، لأن ضعف تفكيرهم يمنعهم من ذلك .

- **المثال2:**

قول الله عز وجل:{**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**}[الكهف : 29]. إذا كان الله تعالى منح لعبيده حرية اختيار الدين، فمن نحن حتى نمنع غيرنا هذا الحق، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بما هو أدنى من قضية الدين .

- **المثال3:**

وهو ما استعمله ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى عن نكاح الأمة :{ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[

النساء : 25] قال فإذا كان الصبر خير في نكاح الأمة (الذي هو جائز) فمن باب أولى أن يكون في الاستمناء، فالصبر خير للمرء .

- **المثال4:**

قوله تعالى:{ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**}[لقمان : 7]. فكيف يكون الحال بمن يتلو آيات الله بنفسه ثم يتصرف تصرف من في أذنيه وقرا وتصرف من لم تدركه الآيات؟؟.

- **المثال5:**

قول العلامة ابن الجوزي - عليه من الله سحائب الرحمة - في الآية :{ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** }[البقرة : 102] قال : الدنيا أعظم

سحرا من هاروت ماروت، فإن هاروت وماروت يفرقان بين المرء وزوجه، أما الدنيا فإنها تفرق بين العبد وربه .

- **المثال6:**

قوله عز وجل :{**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**}[لقمان : 15]، إذا كان هذا في الوالدين المشركين اللذين يجاهدين ابنهما على الشرك ، فكيف بالوالدين المسلمين اللذين يأمران ابنهما بالإسلام والخير ..!!

- **المثال7:**

قوله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**}[الأحزاب : 1] فمن باب أولى أن نمتثل نحن هذا الأمر .

6. الأسلوب الاستقرائي :

ويقوم هذا الأسلوب على الاستقراء والاستنباط فليس فيه قوة فكر بل مبني على الملاحظة ، ومن خلاله تبرز أهمية حفظ القرءان بإتقان ، ولا يحسن استعماله إلا من كانت له رابطة قوية بالقرءان، وهو الذي يتأكد فيه الاجتماع على المدارسة.

- **المثال1:**

آية القصص:{ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} [القصص : 83]

مع قوله :{ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**}[الإسراء : 4] بجمع الآيتين يتضح جليا أن بني إسرائيل ممن لم تجعل لهم الدار الآخرة، وهذا يدحض ما زعموه :{**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**} [البقرة : 111] .

- **المثال2:**

قوله :{ **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** }[العصر].

نقول: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هي المنجيات من الخسران .

- **المثال3:**

أعمال تحصل رحمة الله عز وجل:

- الاستغفار:{ **لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [النمل : 46] .

- الإصلاح بين المؤمنين :{ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الحجرات : 10] .

- الاستماع للقرءان والإنصات له:{**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الأعراف : 204] .

- طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [ال عمران : 132] .

- إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : {**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [النور : 56] .

- التقوى:{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [يس : 45].

- النأي بالنفس زمن الفتن :{**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**} [الكهف : 16] .

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :{**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}[التوبة : 71] .

- الإيمان والجهاد والهجرة في سبيل الله :{**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} [البقرة : 218] .

- **المثال4:**

موضعين فقط في القرءان كان يتكلم عن موضوع ثم يدرج ذكر التقوى في وسطه :

الموضع الأول :{**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**}[البقرة : 197] .

الموضع الثاني :{**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**}[الأعراف : 26] .

فالمرء بفطرته يتعلق بالمأكل والمشرب (وهما نعمة الباطن) ويتعلق بالملبس (نعمة الظاهر)، فقد يبالغ في التعلق بهما ويراهما أكبر نعمة عليه، ليأتي التوضيح من الله عز وجل أن التقوى هي أكبر نعمة فهي خير الزاد وخير اللباس، فمن لم يتق الله لم يزل جائعا عريانا .

- **المثال5:**

مثلا إذا أردت أن تعرف التعريف الدقيق الشامل للمتقين فإنك ستقوم بالبحث عن المواضع التي ورد فيها تعريف المتقين:

الموضع الأول: {**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)** } [البقرة : 2-5] .

الموضع الثاني :{**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)** } [ال عمران : 133-136] .

الموضع الثالث: {**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (32)** }[النحل : 30-32].

الموضع الرابع :{**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**}[البقرة : 177] .

الموضع الخامس: {**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**}[الزمر : 33] .

الموضع السادس: {**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49)**} [الأنبياء :48-49] .

فهذه الآيات تعطي التعريف الدقيق للمتقين، ويمكنك اختيار مواضيع أخرى (النفاق ومن هم المنافقون، الصدقة، الصلاة، أولوا العلم ...).

- **المثال6:**

لما كان سيدنا يوسف عليه السلام صبيا ولم يبعث بعد خاطب أباه قائلا :{**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**} [يوسف : 4] استعمل لفظ "**يا أبت**". ولما كبر وصار رسولا وعزيزا لمصر خاطبه قائلا :{**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**}[يوسف : 100] ،"**يا أبت**"، لم يغير حتى ألفاظه (فضلا عن مبادئه)، وكأنه يرى نفسه أنه مازال صغيرا أمام والده حتى لو صار كبيرا رسولا عزيزا ...إنها أخلاق الأنبياء.

(استقراء : في الصغر ثم في الكبر).

- **المثال7:**

من خلال الاسقراء يتضح أنه لا وطنية في الإسلام، وأن أهل الإسلام كلهم كالجسد الواحد، بل الذي يدعي الوطنية هم أعداء الرسل :{**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** }[الأعراف : 88] وقال :{**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**}[إبراهيم :13] وقال الملأ من قوم فرعون :{**يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**}[الأعراف : 110] وقالوا :{**قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ**}[طه : 63] وقال فرعون: {**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ**}[طه : 57] وقال الذين كفروا: {**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**}[القصص : 57] دوما ينسبون الأرض لأنفسهم، بينما :{**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي**

الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[النساء : 97] وقال :{**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[الأعراف : 73] وقال :{**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ**}[الزمر : 10] وقال موسى لقومه:{**قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**}[الأعراف : 128]، نسبوا الأرض لله، وهذا هو الحق فلا وطنية في الإسلام، فالأرض كلها أرض الله، ووطن المسلمين هو الإسلام لا غير، ولا اعتبار بحدود اتفاقية **"سايكس بيكو"** .

- **المثال8:**

أعداء الرسل إذا لم يستطيعوا مواجهة الرسل بالحق والفكرة فإنهم يلجؤون للطعن في نواياهم :{**قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ**}[طه : 63]،{**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**}[المؤمنون : 24] ،{**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ** }[سبأ : 43] {**يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**}[الشعراء : 35]، وهذه هي طريقتهم إلى يوم الدين، تماما مثلما كان يطعن المنافقون في نوايا الصحابة المتصدقين :{**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ**}[التوبة : 79] .

- **المثال9:**

لو تأملنا القرءان الكريم سنجد أنه ركز في بدايته على الأحكام وفي نهايته ركز على الإيمان باليوم الآخر، كما نلحظ أن السور في بدايته هي أطول السور وأن أقصرها تقع في نهايته ، فإلى ما توحي هذه الإشارات ؟...

- **المثال10:**

أمور تعين على الثبات في الاستقامة :

- قصص الرسل :{**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**} [هود : 120] .
- القرءان الكريم :{**كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**} [الفرقان : 32] .
- التزام الطاعة :{**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**} [النساء : 66].

7. قاعدة مهمة : بقدر تحقق الشرط يتحقق المشروط .

فكلما زاد تحقق الشرط زاد تحقق المشروط ، والعكس صحيح : كلما نقص تحقق الشرط نقص تحقق المشروط، فهو مرهون به وجودا وعدما، وأمثلته :

- **المثال1:**

ما استنبطه ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : {**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**} [الزمر : 36] قال : على قدر العبودية تكون كفاية الله لك .

- **المثال2:**

في قوله : { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**}[الإسراء : 82] فعلى قدر الإيمان يحصل الشفاء وعلى قدر الظلم يكون الخسران .

- **المثال3:**

قول الله :{**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[ال عمران : 31] على قدر حب الله يكون اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى قدر اتباع النبي صلى الله عليه وسلم تكون محبة الله للعبد ومغفرته له .

- **المثال4:**

قوله تعالى: {**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**} [الطلاق : 3]. على قدر التوكل يكفيك الله ..

- **المثال5:**

قوله تعالى :{**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**}[النساء : 34] رجولتك على قدر قوامتك لأهلك.

- السياق :

إن مراعاة السياق أثناء التدبر أمر في غاية الأهمية ، بل حتى في التفسير ، فأحيانا تختلف أقوال المفسرين في آية ما فسبيل ترجيح رأي على آخر هو مراعاة السياق ، فمثلا في تفسير آية : {**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا**} [مريم : 71] . من المفسرين من قال أن ورودها (أي جهنم) هو مرض الحمّى في الدنيا ، ومنهم من قال أن ورودها هو دخولها حقيقة بحيث تكون خامدة وبعضهم قال هو المرور على الصراط ، إلا أن السياق لا يحتمل الرأي الأول، فانظر كيف هي الآيات :{**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (69) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)**} [مريم : 68-72] إذا هو يتكلم عن جهنم وأنه سيترك فيها الظالمين، فالرأي الثاني هو

الأرجح ، وأيضا كقوله :{**فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ**}[الزمر : 15] وكقوله :{**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**}[الكهف : 29] فيستحيل فهم هذه النصوص مجردة عن السياق . أما عن حدود السياق فيمكن اعتبارها تَحقق معنى تام لموضوع ما ، فتكون للسورة الواحدة عدة سياقات متنوعة بحيث كل سياق له علاقة بالذي سبقه وبالذي يليه.

ويندرج تحت الكلام عن السياق مسألة التقديم والتأخير، فليس في القرءان شيء اعتباطي :إذا قدم لحكمة وإذا أخر لحكمة، فمثلا في قوله :{**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)**} [الشمس : 7-8] قدم الفجور على التقوى لأن النفس يغلب عليها طابع الفجور ولهذا هي أسهل انقيادا للشر من الخير، أو مثلا في آيات الجهاد دائما ما يقدم المال على النفس :{**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**}[التوبة : 20] .{**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا**

بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}[التوبة : 41] وغير ذلك من الآيات إشارة إلى أن الجهاد بالمال أفضل من الجهاد من النفس وأولى، (باستثناء موضع وحيد قدم النفس على المال :{**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**}[التوبة : 111] لأن سورة التوبة عالجت موضوع المنافقين والتخلف عن الجهاد، فحتى يكون النسق واحدا قدم الجهاد بالنفس على المال) إلا أنه ليس في كل الأحوال يكون التقديم للأفضل أو الأهم فمثلا قوله :{**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**}[الأعراف : 33] فلا خلاف أن القول على الله بغير علم أعظم الذنوب على الإطلاق :{ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**}[الأعراف : 37]. ويندرج تحته خطيئة الشرك لأنه قول على الله بغير علم، لتتوالى بعد ذلك الخطايا كالكبائر والظلم والبغي ثم مطلق الفواحش (الصغائر)، ففي هذه الآية بدأ بالأخطر فالأخطر إشارة إلى أن الأول يجرّ إلى الثاني،

والثاني إلى الثالث...وهلم جرّا.(أي أن التقديم يكون تارة للأهمية وتارة يكون للسبب...إلخ) .

- **العلاقة بين الآيات :**

ميزة القرءان الكريم هي أنه متناسق بشكل جد عجيب في آياته وكلماته وسوره، فالآيات لها علاقة فيما بينها بالترتيب التي وردت به فمثلا :{**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا**

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) }

[الأنعام :151-153].

الآية الأولى انتهت بالكلام عن العقل، والثانية بالكلام عن التذكر، والثالثة عن التقوى، وهذا إشارة إلى أن العقل والتعقل والتفكر يؤدي إلى التذكر وهو ضد الغفلة، والتذكر يؤدي إلى التقوى، فمن تذكر اتقى، وهنا تبرز أهمية العقل في الإسلام والمكانة التي يحظى بها، خلافا لما يُرَوّج حتى من بعض المنتسبين للإسلام .

أو مثلا لما كان الكلام عن قصة سيدنا ءادم في سورة البقرة: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة : 30] وانتهت القصة بهذه الآية : {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [البقرة : 39]، جاء مباشرة الكلام عن بني إسرائيل ومخاطبتهم: {**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[البقرة : 40]، والسبب أن موقف بني إسرائيل من الإسلام كان كموقف إبليس من ءادم : فإبليس حسد ءادم وكذلك بنو إسرائيل حسدوا المسلمين، وإبليس أراد إغواء ءادم وكذلك بنو إسرائيل أرادوا إغواء المسلمين :{**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** }[البقرة : 109]، وإبليس قد أصابه كبر، وكذلك بنو إسرائيل:{**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ**}[المائدة : 18] وتشبيه المسلمين بآدم إيحاء بأن الإسلام هو ميلاد جديد للبشرية جمعاء .

هذه أمثلة عن ترابط الآيات فيما بينها وتناسقها ، إلا أن تحديد العلاقة يحتاج لدقة نظر وتأمل عميق .

تنبيه في غاية الأهمية : كثير ممن يهتم بالتدبر يحاول إيجاد العلاقات بين الآيات لكنه يغفل عن الاستفادة منها واستغلالها فيبينها جافة دون فائدة ، وإليك مثال عن حسن استغلالها:

قال تعالى {**لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون** }[المائدة : 82] ثم شرعت الآيات في مدح أولئك القسيسين ، ثم جاء السياق بعدها يتحدث عن النهي عن الغلو {**يا أيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (87) وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ..**}[المائدة : 87-88] والسبب في ترتيب هذا السياق أنه لما مدح القسيسين سيتبادر إلى الذهن الاقتداء بهم لكن كما هو معلوم أن القسيسين لهم غلو في الدين فجاء السياق بعدها النهي عن الغلو حتى إذا اقتدى الناس بهم فلا يقتدون بغلوهم، هنا اكتملت العلاقة، والاستفادة منها هي : مراعاة التوازن في التفكير. (فمثلا إذا

كان التركيز على الاجتهاد والمثابرة فينبغي التنبه على تجنب إهمال الراحة أحيانا).

ولو التزم المتدبر بهذه المنهجية خلال تدبره لاكتسب حكمة وخبرة وحنكة منقطعة النظير ولتفجر قلبه بها، وهذا هو الاتباع الحقيقي لمنهج القرءان.

- **العلاقات في السور وبين السور:**

إن المتدبر للقرءان الكريم بتمعن ودقة نظر يستخلص أن كل سورة لها علاقة بالسورة التي قبلها والسورة التي بعدها علم هذا من علمه وجهله من جهله ، وأن بدايتها لها علاقة بنهايتها وأيضا لها علاقة بنهاية السورة السابقة لها .

- **أ-علاقة بداية السورة بنهايتها :**

في كثير من الأحيان يكون موضوع بداية السورة نفسه في نهايتها : سورة المؤمنون نموذج فتبدأ : { **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**} [المؤمِنون : 1] وتنتهي : {**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**} [المؤمِنون : 117] (منهج المخالفة). أو سورة البقرة : تبدأ:{ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**} [البقرة : 4] وتنتهي : {**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**} [البقرة : 285] .سورة العنكبوت تبدأ: **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**} [العنكبوت : 6] وتنتهي :{**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**}[العنكبوت : 69] .سورة الحجر تبدأ: {**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**} [الحِجر : 6] وتنتهي : {**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ**} [الحِجر : 97] .سورة الروم تبدأ: {**فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**

(5) وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(6)}[الروم : 4-6] وتنتهي :{ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**}[الروم : 60].سورة القصص تبدأ:{**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**} [القصص : 4] وتنتهي :{ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**} [القصص : 83] وأيضا تبدأ: {**فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**}[القصص : 13] وتنتهي :{ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**} [القصص : 85] .وهناك سور أخرى كثيرة أضربنا عن ذكرها خشية الإطالة في هذه النقطة. وأحيانا قد يبدو للمتدبر أنه ليس هناك علاقة ترابط بين البداية والنهاية لعلو مستوى العلاقة ، فلا يتأتى لكل أحد أن يتوصل إليها وهذا ما يسمى بالفتح الرباني. ويبدو أن مسألة البداية تكون كالنهاية يبدو أن هذا قانون

كوني وسنّة ربانية ، انظر إلى قوله تعالى : {**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**} [سورة الأنبياء الآية 104] وقال :{ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** } [الأعراف : 29] وقال أيضا :{**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً** }[الروم : 54]،فربما يكون وراء هذه اللفتة أسرار ..فاللهم افتح علينا فتحا من عندك.

وأحيانا تكون العلاقة علاقة تكملة : فمثلا سورة الإسراء تبدأ: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**} [الإسراء : 1] وتنتهي : {**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا**} [الإسراء : 111]، والحمد يكمل التسبيح ، فكثيرا ما يرد : { **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**} [الحجر : 98] {**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**} [النصر : 3] ..إلخ .

● علاقة نهاية السورة ببداية السورة الموالية :

أحيانا تكون علاقة تكملة، أي بداية السورة تكمل معنى نهاية السورة التي سبقتها، مثلا سورة المؤمنون وسورة الحج، انتهت سورة الحج :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)**} [الحج : 77-78] .انتهت بالحديث عن الإيمان والفلاح والأمر بالجهاد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، لتأتي بعدها سورة المؤمنون وتتكلم في بدايتها عن نفس المواضيع :{ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ**

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) } [المؤمنون : 1-9] وكل هذه العبادات تحتاج لمجاهدة نفس حتى يؤديها المرء على أكمل وجه .

وأحيانا قد تكون مشابهة لها كنهاية سورة الطور وبداية سورة النجم :{**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**}[الطور : 49] {**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ**} [النجم : 1] .وكذلك سورة الناس مع سورة الفاتحة ، فذُكر في سورة الناس ثلاث صفات لله :الربوبية {**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس**} والملك { **مَلِكِ النَّاسِ** } والألوهية {**إِلَٰهِ النَّاسِ**} وهذه الصفات نفسها ذُكرت في الفاتحة :{**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} الربوبية .{**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**} المُلك {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} الألوهية (بالترتيب نفسه).وهناك علاقة أخرى بين هاتين السورتين وهي : حينما يتعوذ الإنسان من الشيطان فإن الله تعالى يعيذه منه ويطرده عنه، فإذا

حصل هذا للعبد قال العبد بعد ذلك " الحمد لله رب العالمين " يحمد الله تعالى، أو كسورة المائدة والأنعام وغيرهما .

ملاحظة مهمة: كل هذه الأساليب التي مضت صالحة للقرءان والسنة فيمكن تطبيقها على الأحاديث أيضا ، ولا تقتصر على القرءان فقط ، إلا أنها في القرءان آكد .

ج- مرحلة ما بعد التدبر :

كما سبق الذكر، إذا سلمت المرحلة الأولى تسلم الثانية وإذا سلمت الثانية تسلم هذه المرحلة، وبعد أن يتنهي المتدبر من تأمله ينبغي عليه:

- أن يتريث ولا يشرع في الحكم على الفائدة ، بل ينظر بتأن وتمعن وتفكر ، وينظر إلى الفكرة من عدة زوايا بكل موضوعية

وحيادية ، فإذا تبين له صحتها فإنه لا يجزم بصفة لا تقبل النقاش أن فكرته تلك صحيحة مائة بالمائة ، بل تبقى في درجة الظن المقارب لليقين (احتمال راجح) فكم من رأي تراجع عمه صاحبه ، وعليه أن لا يعتقد أن المستوى الذي وصله ليس بعده مستوى بل هذا يمنع الاستمرار في الإبداع فعليه أن يستحضر دوما في باله أن هناك مستوى لم يصله بعد حتى يبلغ الدرجات العلى ، ثم على المتدبر أن لا يتعصب لفكرته لأنه لاشعوريا يعتبرها جزءا منه ـ كما قلنا ـ ، والإنسان المخلص المتواضع يطرح فكرته على من هو أعلم منه حتى يناقش فكرته .

- وعليه كذلك أن يحرص على العمل بتلك الفائدة إن كانت فائدة تربوية فما قيمة العلم بلا عمل؟ ، وما عظمت قيمة العلم إلا لأنه به يُتقى الله عز وجل ، وما قرن شيء بشيء أفضل من اقتران العلم بالعمل، أما الفخ الذي يخشى عليه أن يقع فيه هو العجب والغرور وازدراء الغير، وللأسف الشديد لاحظت قلّ من يسلم من هذه الآفة،

فترى بعضهم إذا فتح الله عليه من كتابه أخذ يشهر بنفسه وأن له قصب السبق في الوصول إلى فكرة ما ، بل وبعضهم وصل به الحال إلى الطعن في المفسرين وأنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه ، ونسي الجاهل أن التدبر غير التفسير كما قررنا ، فالمفسر أحيانا يذكر بعض اللطائف وهو غير مطالب بها ، بل من كرمه يفيد القراء بها ، والأدهى والأمر أني رأيت بعضهم يأتي بأساطير لا مجال لها في العلم ولا في المنطق ، ثم يذهب يلوم غيره، ولاغرو ، فإذا غاب الإخلاص فتوقع كل ما يمكن توقعه ، نسأل الله العفو والعافية ، فعلى المتدبر أن يستشعر أن الله عز وجل هو من رزقه هذا الفهم وهو من فتح عليه وإذا شاء سلبه هذا الفضل الذي يتفاخر به .

- ويستحسن أن يدون فوائده وأفكاره في سجل مستقل ، فالإنسان جبل على النسيان ، فإذا كانت فوائده لها حظ من الصحة ، فلا يبخل بها على غيره ، فكم من فائدة غيرت مسار أناس كانوا يتخبطون في

الدرك الأسفل من التيه ، وكم من فائدة أحيت قلبا كادت تميته الذنوب والهموم ، والله عز وجل ولي التوفيق .

• نصائح قيمة تعين على التدبر:

- إن الاطلاع على تأملات الغير وأفكارهم ودراساتهم يكسبك منهجية في التدبر ، ويتيح لك الكشف عن زوايا أخرى تنظر من خلالها للنص القرءاني ، بل قد يتبين لك أسلوب آخر من أساليب التدبر، إلا أنه يجب أن لا تطلع على وقفات أي آية إلا بعد أن تتأملها أنت وتفكر وتفتش عن كل فوائدها .

- راع الأوقات التي يبلغ فيها مستوى تفكيرك ذروته، فالإنسان يعيش في تقلبات مستمرة : {**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**} [الإنشقاق : 19]، فعليك أن تستغل تلك الفرص ، وفي العادة يكون الليل أفضل أوقات التفكر : {**وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**} [الصافات : 138] .

- ينصح الأطباء والخبراء ببعض الطرق والوصفات للزيادة في الذكاء والنباهة ، فعليك بها فهي مما يقوي ملكة التدبر .

- في العادة لايفشي الحبيب سره لحبيبه إلا بعد طول صحبة، وبعد أن يدرس كلا منهما الآخر، وكذلك القرءان فلن يفشي أسراره إلا بعد طول ملازمة .

- استعمال هذه الأساليب لا يكون خلال قراءة الورد اليومي بل الورد اليومي للتدبر القلبي، والتدبر العقلي يحتاج إلى جلسة مستقلة تتأمل فيها معاني الآيات ومن الممكن أن آية واحدة تأخذ منك جلسة كاملة حتى تستنـفذ كل فوائدها.

- إن الله عز وجل خلق الكون وجعل له قوانينا تحكمه وسننا لا تتغير ولا تتبدل مهما اختلف الظرف والحال ومن هذه السنن سنة التدرج فلا تشرق الشمس دفعة واحدة ولا يدخل الليل لحظة واحدة ولن تصل إلى مستوى عال من التدبر للمراحل الأولى، فينبغي عليك التحلي بالأناة حتى يفتح الله عليك من فضله والله سميع عليم .

- واعلم أنك لن تفهم معاني القرءان الفهم الصحيح حتى تترجم تعاليم القرءان في حياتك اليومية ، فلن ينال أسرار القرءان إلا من امتثل له ، فالعيش مع القرءان عمليا يزيح ذلك الغطاء على خبايا القرءان ، وهذا من تمام عدل الله ولابد أن تعيش معه في كل أطوار حياتك، فنظرة الشيخ ليست كنظرة الشاب ، ونظرة الوالد ليست كنظرة الابن، ولكل ميزة، فحتى تستوعب بشكل جيد معاني القرءان عليك أن تعايشه من الصغر إلى الكبر عبر كل المراحل .

- في كل آية أو سياق موضوع محوري أساسي ، كثيرا ما يهتم المتدبر بهذا الموضوع ويغفل عن المواضيع الأخرى التي ذكرت ، فالاهتمام به كثيرا قد يحجبك عن مواضيع أخرى ، فعليك تقليب النص جيدا ، وأن تهتم أولا بالموضوع الأساسي ثم تنظر إلى المواضيع الأخرى التي وردت.

- يمكن الاستعانة بالبرامج الإلكترونية في استعمال الأسلوب الاستقرائي ، بحيث يقوم البرنامج بالبحث عن كل المواضع التي وردت فيها الكلمة التي تبحث عنها.

- تجنب الأسئلة التي لا فائدة منها والتي لا تسمن ولا تغني من جوع ، فقد قال الله :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** }[المائدة : 101] ، بل اطرح الأسئلة المنطقية التي يرجى أن تكون ذات منفعة .

- لا يكن همك كثرة الفوائد بقدر حرصك على العمل بها ، ففائدة واحدة تعمل بها أفضل من سبعين فائدة مهجورة.

- لا داعي لأن تحاول إيجاد تفسير أو تحليل ما من خلال إقحام أدلة لا تصلح للاستدلال بها في ذلك الموضع إثباتا منك على أمر ما (لا تحدد الغاية أولا ثم تستدل كيفما تشاء وإنما استدل استدلالا منطقيا ودع النتيجة تظهر بكل موضوعية)، وهذا يحصل كثيرا حينما يوجد وهم بأنه يوجد خطأ في

القرءان فيسارع الكثير للذب عن القرءان ونسف هذا الوهم بأي طريقة كانت في حين أن الصواب هو تحري الحقيقة ومصداقية الاستدلال، ويحصل أيضا حينما يضع المتدبر لفتة في ذهنه ثم يحاول تركيب النصوص والأدلة حسب تلك اللفتة، فكل هذا لا يصلح ومخالف للمنهجية العلمية.

- لا يكن همك أجر التلاوة فقط ، فهذا مانع من موانع التدبر ، بل احرص كذلك على الفهم والتدبر.

- إذا سمعت آية ما فكن وكأنك لأول مرة تسمعها ، فهذا أدعى لحسن تدبرها.

● خاتمة :

إن الناظر والمتأمل في مسيرة المسلمين والأمة الإسلامية سيلحظ تغيرا في العلاقة مع كتاب الله وسيسجل إقبالا غير مشهود في الزمن الغابر، وإن هذا مما يبعث روح التفاؤل والأمل في نفس المؤمن ، فنحمد الله جل وعلا على توفيقه وامتنانه ، فلعل هذا من مؤشرات استرجاع الحضارة الإسلامية ، ونرجو أن يساهم هذا الكتاب في تحقيق هذا الهدف المنشود ، ولا يتم ذلك إلا بالإيجابية التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:"**خيركم من تعلم القرءان وعلمه** "متفق عليه .ومن أعظم تعليم القرءان هو تعليم الانتفاع به . وقد قيل " **إذا أردت أن تتعلم فعلم**" فإذا أردت أن تطور من نفسك فحاول تطوير الآخرين فإن الفائدة الأكبر ستكون من نصيبك. والإنسان الرشيد هو الذي يصلح نفسه ثم يصلح غيره فيكون إنسانا إيجابيا في مجتمعه وأمته، وإذا أردت أن تحسن إلى إنسان إحسانا ليس بعده إحسان فعلمه كيف يصل إلى أهدافه، لا أن تحققها له ...

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{**الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال : لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**}رواه مسلم. ومن النصيحة لكتاب الله تعليم تدبره وفهمه.وقال أيضا:(**من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**) رواه ابن حبان والبيهقي.

وإني إذا كنت موص بوصية **فإني أوصي بمصاحبة هذا الكتاب الجليل "القرءان الكريم" كلام الله عز وجل، عليك به، ادفأ بدفئه ، استظل بظله، اشرب من مائه ، فإذا اختلطت عليك الأمور ، ولم تعرف من أين تهتدي، ومن أين الطريق ، فعليك بالقرءان فهو أسهل طريق وأكمله وأصوبه، فهو الرفيق في الغربة وهو الأنيس في الوحشة وهو المنير في الظلمة وهو الشفيع يوم القيامة ..فاجعله نبراسا لك في حياتك ، فإن كل خليل سيتخلى عن خليله إلا هذا الكتاب ...كتاب الله عز وجل...فستذكر ما أقول وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.**

اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرءان العظيم ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا ، اللهم اجعلنا من أهل القرءان حفظا وتلاوة وتدبرا وعملا ، يا أرحم الراحمين ، اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، اللهم اجعلنا ممن يدخلون جنتك بلا حساب ولا عذاب نحن وجميع الأهل والأحبة ...رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا ...أن الحمد لله رب العالمين.

إذا كانت الحياة دار ، فإن القرءان بابها ، وقد قال الله : {وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا } [البقرة : 189] .